المحاضرة الخامسة: اتصال اللغات و توليدها (اللغة الهجين، الكريول)

أولا- اللغات الهجينة (Pidgin)

1-المفهوم: اللغة الهجين هي لغة "جزئية ذات مفردات ونحو محدود تكفي لانجاز عمل"، فهي تنوع لا ترقى لأن تكون لغة ذات قوانين تضبطها من الناحية الصوتية و المورفولوجية والتركيبية، تنشأ نتيجة حاجة جماعة معينة، لا تملك لغة مشتركة للتواصل، مما يدعوهم إلى اصطناع تنوع لغوي، يصير فيما بعد وسيلة اتصالهم.

نشأت اللغات الهجين- قديما- بدافع التواصل التجاري، فعدّت لغة التجارة، لأن الاتصال في تلك الفترة التاريخية كان سببه الأول التّبادل التجاري غالبا، لكن ليس كل لغات التجارة من اللغات الهجين، فقد تستخدم "كلّ الجماعات لغة جماعة بعينها في المنطقة ويعتبرونها لغة تجارة".

2-عملية التهجين (pidginisation): إنّ عملية التهجين "عملية ابتداع لغة تقريبية"، أي هي خليط من نوعيات مختلفة مخترعة، لم تحافظ على أبنية المفردات المقترضة من اللغات المولدة منها، لاسيما المستوى الصوتي. فالتهجين- إذن- عملية اصطناع تنوّع / رطانة لغوية نتيجة المزج بين نظام تنوّعين لغوين أو أكثر، وقد اصطنعت هذه التنوعات اللغوية، لأغراض الاتصال العاجل بين الجماعات اللغوية التّي لا تملك فرص النجاح إذا ما استخدمت لغاتها الأصلية لعدم وجود قناة لغوية مشتركة تؤدي إلى تخاطب مفهوم: ثم توسّعت هذه الرطانات وصارت لغة متداولة، بل كثير من الدول قد تبنّتها لغات رسمية.

وقد تكون اللغات الهجين لغة طبيعية لدولة ما، فتستخدم كوسيلة في تنمية الاتصال وتحقيق الأهداف المشتركة للوافدين على تلك الدولة، أو لغة اصطناعية خليطة بين لغات طبيعية عدّة ،تستخدم في مناطق يتجّمع فيها أناس يتواصلون بلغات مختلفة.

3-خصائص اللغات الهجين:

1-قد تبتعد صواتة اللغة الهجين عن اللغات التي اقترضت منها ألفاظها وتراكيبها، لتصطبغ ببعض العادات النطقية الخاصة بلغة المتكلم الأم، فتفقد قيمتها الصوتية عند انتقالها إلى اللغة الهجين.

2-تتسم اللغات الهجين بالبساطة وسهولة التعلّم، أما مفرداتها فعادة ما تقترض من مفردات لغة الجماعة الكلامية السائدة،

3-رغم أنّ مفردات اللغة الهجين تقوم على أساس التنوع اللغوي الغالب فإنّ نحوها وصواتتها قد تكون مشابهة للتنوع الآخر.

4-لا تعدّ اللغة الهجين- التي تقوم على أساس تنوع لغوي- مثالا سيّئا لهذا التنوّع.

5-هي نتاج موقف متعدد اللغات يوجب على الأفراد الراغبين في الاتصال اصطناع شفرة بسيطة تمكّنهم من القيام بذلك.

6-قد تصبح اللغة الهجين هي اللغة الأولى المكتسبة، وبالتالي قد تتطور لتصبح لغة سويّة ذات استقلالية عن التنوعات التي اقترضت منها، وذات قوانين تحكمها (صوتية، صرفية، تركيبية، معجمية...).

7-قد تكون اللغات الهجينة تكوّنا سريعا، وتتلاشى بسرعة كبيرة أيضا، كما حدث للغة الهجين التي استخدمت في المعسكرات الألمانية طيلة الحرب العالمية الثانية، والتي اندثرت مع نهاية النزاع.

8-أشرنا في الخاصية رقم 06، إلى أن اللغة الهجين قد تعدّ لغة الجماعة الرسمية أو لغة الاكتساب الأولى، حينئذ يتوجّب عليها أن تجدد من رصيدها المعجمي حتى تلبي الحاجات الإبلاغية والتعبيرية لمستعملي هذه اللغة، هذا التجديد عادة يتمّثل في التوليد المعجمي أو الاقتراض المعجمي، أو حتى الترجمة.

9-غياب الصيغ الصرفية والنحوية، حتى ولو اتسّمت بالبساطة ،وهذا يرجع إلى عدم كفاءة مستخدم اللغة الهجين في استعمال هذه الصيغ في لغتها الأصلية، ممّا يفتح الباب لظهور وتطوير الصيغ الصرفية والنحوية الشاذّة التي تحوّر الصيغ الأصلية.

10-لا تعدّ اللغة الهجين نوعية دنيا أو رديئة للّغة الناتجة عنها، بل هي "نوعية مستقلة لها جماعة من المتحدثين بها، ويقومون بتوريثها إلى الأجيال التالية، وبالتالي فإن للرطانة [اللغة الهجين] تاريخا خاصا".

ثانيا- اللغات المولدة - الكريولية (creoles):

1-في ضبط المفهوم: وهي "العملية التي تتحوّل بها الرطانة [pidgin] إلى الكريولية.... أين تكتسب الرطانة متحدثين أصليين". ويعدّها شدنسون (chaudenson) ملمحا مهما لمعاينة التنوعات اللغوية الناشئة عن المستعمرات الأوروبية خاصة. تتولّد الكريولية في الوضعيات اللغوية التي تتّسم بالازدواجية اللغوية، وينظر إليها على أنها لغة توصف بالفوقية أي هي لغة المجتمعات الراقية والتي تحظى بمكانة اجتماعية راقية". أي أن اللغة المولدة كانت في البدء لغة هجينة، ثم تحولت فيما بعد إلى لغة أولى تكتسب عن طريق التوارث من جيل إلى جيل ، وهي لغة عادية تقريبا لها مستعملوها، ومتكلمون أصليون بعدما صارت لغة أمّا لهم".

2-عملية التوليد: (Creolisation): تنشأ اللغات الكريولية أو المولّدة بعملية تسمى التوّليد وهي عملية تتضمن توسيعا في الصرف والنحو، وتنسيقا في الأصوات من أجل "تطوير نظام معرفي عقلي ثابت ينتج عنه زيادة في الألفاظ".

إنّ المراحل الأولى في نشأة اللغات المولدة، هي المراحل التي تبدأ فيها اللغة المولدة باكتساب متحدثين أصليين (تصبح لغتهم الأم). وهنا فقط، يتوقّف هذا النوع اللغوي من كونه لغة هجينة، وبالتالي يرتقي إلى لغة أرفع تسمّى اللغة المولدة.

3- بين اللغة الهجينة واللغة المولدة: حدّد أهدسون فروقا واضحة بين اللغات الهجين واللغات المولدة نوجزها كالآتي:

1-للكريولية متحدثون أصليون، وهذا غير موجود في اللغات الهجين.

2-اللغة المولدة لغة عادية، في حين أن اللغات الهجين لغة مليئة بالغرابة والشذوذ.

3-اللغات المولدة تطور طبيعي للغات الهجينة، غير أن عملية نشوء هذه الأخيرة وتكوينها يبقى غير واضح، وهو اختلاف متعلق بالمتواصل وعملية التواصل وليس اختلافا كيفيا، فاللغات الهجين تنشأ من لاشي، في حين أن اللّغات المولّدة تجعل من هذه الأخيرة قاعدة للانطلاق والتكوين.

4-يمكن أن نصف اللغات الهجينة بأنها نوعيات غير متواضع عليها، على عكس اللغات المولدة التي تتسم بالتواضع لأنها مقننة أكثر.

5- يتكلم بعض الجماعات اللغوية تنوعات لغوية ذات أصول مولدة، لكنها تحركت نحو التنوع اللغوي الغالب، على حساب الخصائص المميزة للغة المولدة مثل انجليزية السود في الو.م.أ.

المراجع:

- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1990.
- محـمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب القاهرة، ط 1، 2009.
- صبري إبراهيم السيد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع- مفهومه وقضاياه- ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.
- جون لويس كالفي: علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة، الجزائر، دط، 2006.
- جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990.